

جريدة الجمهورية 2012/7/14

زمن السقوط ...

في الوقت الذي تشتد فيه سواعد وهمم الثوار الذين يبذلون الغالي والرخيص للتحرّر من نير جزّارهم ، وإيماناً منهم بحريتهم ودفاعاً عن مستقبلهم وبالرغم من فظاعة المجازر الحاصلة ، فقد شاهدناهم يسيطرون على عدة مناطق من درعا وإدلب ... مناطق لا تطأها أقدام الشبيحة إلا ما يصل إليها من فذائف الحقد .

أما الزمن الذي كانت فيه سوريا تختلق الأزمات من حولها لتفرض نفسها راعياً للحلّ ، راعياً يملك السلاح وفرق الإرهاب والترهيب كجزء من فلسفة النظام ، نظام يهدّد دائماً بقدرته على معاداة الغرب وقدرته على التفاوض أو التأمّر معه في آنٍ معاً ، ولو على حساب القضية العربية وعلى حساب الشعب السوري برمته ، فهذا الزمن يميل إلى الأفل.

لقد شكّل هذا النظام لفترة حاجة للأخصام والحلفاء معاً ، أما اليوم فيكاد النظام غير قادر على المحافظة على بقعة جغرافية محدودة يتحرّك فيها ويناور بمناورات الخوف ، مناورات لم يقدم عليها بالرغم من كل الإعتداءات الإسرائيلية على سوريا ، سوريا الممانعة على ما قيل عن النظام ، ليتبيّن أن الممانعة لم تكن إلا مجرد شعارات سقطت يوم قرر النظام ذبح شعبه.

إذ تبيّن أن هذا النظام لم يكن يشد عضلاته إلا بمناورات تجريها إيران من جهة ، وعمليات تفجير ضد الإحتلال الإسرائيلي يقوم بها حزب الله من جهة أخرى ، وقد إقتصرت دوره على تشكيل همزة الوصل بين الأثنين ليس إلا.

أما حزب الله الذي استعمل سوريا كمر برّي لسلاحه ولصواريخه قبل وبعد حرب تموز ، حيث استعاد الحزب قدرته الصاروخية بعد انخفاض حجمها في حرب تموز ، فقد تأكد للجميع أهمية الدور الذي لعبته سوريا النظام في جعل أرضها ممراً يغذّي حزب الله بالصواريخ والسلاح ... لذلك شهدنا إستبسال الحزب في الدفاع عن النظام على قاعدة " مكره أخاك لا بطل " .

غداً بعد سقوط الأسد الكل سيعيد حساباته ، كما فعلت حماس في غزّة وفي دمشق ، وكما فعل الغرب في علاقته مع الرئيس المنتخب في مصر ، وكما فعلت أوروبا في علاقتها المتجددة بليبيا والعراق وتونس ...

أما في لبنان فإن الفريق الذي يعتبر شريكاً أساسياً في المحور الإيراني السوري ، فهو الفريق الذي سعى ولم يزل إلى تعزيز ترسانته وسحب سلاحه المخبأ هناك كما أشارت إلى ذلك صحف أجنبية ، وهو في الواقع بدأ يستعد لإستراتيجية جديدة قوامها سلاحه والإرتباط العضوي بإيران ، من دون الإرتكاز إلى النظام السوري الأيل للسقوط بما يعني أن عوامل الإرتكاز لديه بدأت تتحسر ، وهو بالتأكيد لا يعترف بذلك إلى أن يأتي يوم يصبح سلاحه عبئاً عليه ، سلاح يستفز به الجميع ما يستدعيهم للتسلح في مواجهته بوسيلة أو بأخرى.

ألم يحمل اللبنانيون في أمس السلاح رداً على السلاح الفلسطيني في لبنان ؟ واليوم ألم يحمل أبناء الشمال السلاح كردة فعل على تمدّد سلاح الحزب في جبل محسن ؟ ألم تقم حالة الأسير كردة فعل على سلاح الحزب في الجنوب ؟ ألم يبلغ الحزب مهرجانه المسلح في السعديات بضغط من أهالي إقليم الخروب ؟ ألم تصبح تصرفات العديد من

المواطنين سبباً للقول بأنها ردة فعل على السلاح ؟ ألم تقم قائمة البعض جراء إحتلال الأراضي والكنائس من قِبل أهل السلاح ؟ هكذا تتنامى مواجهة السلاح بطرق مختلفة إلى أن تأتي ساعة الحقيقة.

وبعد غد وعندما تسقط المحاور أو تضعف ، تبقى مسألة السلاح في مواجهة اللبنانيين بعد أن كان في مواجهة إسرائيل . وبدلاً من أن يكون لنا في وحدتنا عامل قوة ، يصبح السلاح سبباً للخلاف ، فإما أن تتجس فكرة الدولة ويسقط السلاح مع من تعمشق به ، أو ينجح السلاح في جرّ اللبنانيين إلى مواجهة مكررة لن تكون لهم قدرة على الهروب منها ، لأن السلاح يريد أن يؤسس له دولة ، بما يتعارض مع فكرة لبنان الدولة.

ومن ينتظر أن يكتمل مشهد السقوط فعليه ألا ينتظر بل أن يبادر إلى المشاركة في صنع هذه المحطة من التاريخ المجيد ، كي لا يبقى متفرجاً فيأتي يوم الإنتصار ولا يشعر بنشوته ، إنتصار الحق على الباطل وانتصار الديمقراطية على السلاح وهذا اليوم ليس ببعيد.

المحامي الدكتور أنطوان أ. سعد